سؤال أهل العلم
أهميته – آدابه

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

١٤٣١هـ = ٢٠١٠م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي الأكرم ، الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ، سبحانه جعل العلم طريقاً إلى الفلاح والصلاح والنجاة ، كما جعله سبيلاً للسعادة في هذه الحياة .

سبحانَكَ اللّهمَّ خيرَ معلمٍ * * * عَلَّمتَ بالقلمِ القرونَ الأولى

أخرجتَ هذا العقلَ من ظلماتِهِ * * * وهديتَهُ النورَ المبينَ سبيلا

أرسلتَ بالتوراة موسى مرشداً * * * وابن البتول فعلّم الإنجيلا

وفجَّرتَ ينبوع البيان مُحمداً * * * فسقى الْحديث وناول التنزيلا

والصلاة والسلام على إمام المتقين وسيد العلماء المربين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد . . ٤

فإن سؤال العلماء ومجالستهم ومزاحمتهم في حلق العلم سبيل إلى التعلم ولقد أمرنا الله تعالى بسؤال العلماء فقال سبحانه : " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤) **سورة النحل** ، وقال : " وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧) **سورة الأنبياء**.

وقد رحل العلماء في السؤال عن العلم ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ ، قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا أَبَا

الدَّرْدَاءِ ، أَتَيْتُكَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ بِهِ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ : فَمَا جَاءَ بِكَ تِجَارَةٌ ؟ قَالَ : لاَ ، قَالَ : وَلاَ جَاءَ بِكَ غَيْرُهُ ؟ قَالَ : لاَ ، قَالَ : فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا ، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا ، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ.

أخرجه أحمد ١٩٦/٥(٢٢٠٥٩) و"الدارمي" ٣٤٢ و"أبو داود"٣٦٤١ و"ابن ماجة"٢٢٣ والترمذي (٢٦٨٢).

وحرص النبي صلى الله عليه وسلم على طلب السؤال من أصحابه وحثهم على سؤالهم إياه في كل ما يشكل عليهم ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسٍ ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لأَصْحَابِهِ : سَلُونِي ، فَقَامَ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَنْ أَبِي؟ قَالَ : أَبُوكَ حُذَافَةُ ، لِلَّذِي كَانَ يُنْسَبُ إِلَيْهِ ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ : يَا بُنَيَّ ، لَقَدْ قُمْتَ بِأُمِّكَ مَقَامًا عَظِيمًا ، قَالَ : أَرَدْتُ أَنْ أُبَرِّئَ صَدْرِي مِمَّا كَانَ يُقَالُ ، وَقَدْ كَانَ يُقَالُ فِيهِ. **أخرجه أحمد ١٧٤/٣(١٢٨١٧).**

وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِي موسى الأشْعَرِيِّ ، قال: سُئِلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ الْمَسْأَلَةَ غَضِبَ . وَقال : سَلُونِي . فَقَامَ رَجُلٌ. فَقال : يَارَسُولَ الله ، مَنْ أَبِي ؟ قال : أَبُوكَ حُذَافَةُ . ثُمَّ قَامَ آخَرُ. فَقال : يَارَسُولَ الله ، مَنْ أَبِي ؟ فَقال : أَبُوكَ سَالِمٌ

مَوْلَى شَيْبَةَ . فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا بوَجْهِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم مِنَ الْغَضَب . قال : إِنَّا نَتُوبُ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ. أخرجه البخاري ٣٤/١ ومسلم ٩٤/٧.

وعن زر بن حبيش قال : أتيت صفوان بن عسال رضي الله عنه أسأله عن المسح على الخفين فقال : ما جاء بك يا زر؟ فقلت : ابتغاء العلم فقال : إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلب فقلت : إنه قد حك في صدري المسح على الخفين بعد الغائط والبول وكنت امرءاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فجئت أسأل هل سمعته يذكر في ذلك شيئاً ؟ قال : نعم ، كان يأمرنا إذا كنا سفراً أو مسافرين أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن إلا من جنابة لكن من غائط وبول ونوم فقلت : هل سمعته يذكر في الهوى شيئاً؟ قال : نعم كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما نحن عنده إذا ناداه أعرابي بصوت له جهوري يا محمد فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً من صوته : "هاؤم" فقلت له : ويحك اغضض من صوتك فإنك عند النبي صلى الله عليه وسلم وقد نهيت عن هذا فقال : والله لا أغضض ، قال الأعرابي : المرء يحب القوم ولما يلحق بهم ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : المرء مع من أحب يوم القيامة". فما زال يحدثنا حتى ذكر بابا من المغرب مسيرة عرضه أو يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين عاماً ، قال سفيان أحد الرواة قبل الشام خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض مفتوحاً للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه". أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات برقم (٣٥٣٥) ، وقال : حسن صحيح ، وأحمد في المسند (٢٣٩/٤) ، فقه السيرة (٢١٤) ، الإيمان ، (ص ٦٠) .

ولقد خصص النبي صلى الله عليه وسلم يوماً للنساء ليسألنه فيه عن كل ما يخصهن من أمور الدين ، عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ رضي الله عنه قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِىِّ ، صلى الله عليه وسلم : غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ : مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلاَثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلاَّ كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ : وَاثْنَيْنِ فَقَالَ : وَاثْنَيْنِ. أخرجه أحمد ٣/١٤(١١١٢٢) و"البُخَارِي" ١/٣٦(١٠١) و"مسلم" ٨/٣٩(٦٧٩٢).

كما مدح صلى الله عليه وسلم نساء الأنصار اللائي لم يمنعهن الحياء عن السؤال في أمور الدين والتفقه فيه ، عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ؛ أَنَّ أَسْمَاءَ سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الْغُسْلِ مِنَ الْمَحِيضِ ، فَقال : تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَ مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا فَتَطَهَّرُ، فَتُحْسِنُ الطُّهُور ، أَوْتَبْلُغُ فِي الطُّهُور ، ثُمَّ تَصُب عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ دَلْكَا شَدِيدا ، حَتَّى تَبْلُغَ شُئُونَ رَأسِهَا ، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ ، ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَطْهُرُ بِهَا ، قالت: أَسْمَاءُ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ بِهَا ؟ قال : سُبْحَانَ اللهِ ! تطَهَّري بِها . قالت عَائِشَةُ (كَأَنَّهَا تُخْفِي ذَالِكَ): تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ . قالت: وَسَأَلَتْهُ عَن الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ . فَقال : تَأْخَذُ إِحْدَاكنَّ مَاءَهَا فَتَطَقَرُ ، فَتُحْسِنُ الطهُورَ أَوْ تَبْلُغُ فِي الطُّهُور ، حَتَى تَصُبَّ الْمَاءَ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ حَتَّى تَبْلُغَ شُئُونَ رَأسِهَا ، ثُمَّ تُفِيضُ الْمَاءَ عَلَى جسَدِهَا . فقالت عَائِشَةُ: نِعْمَ النِّسَاءَ نِساءُ الأَنْصَارِ لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِينِ. أخرجه أحمد ٦/١٤٧ و"الدارِمِي" ٧٧٩ و"مسلم" ١/١٧٩ و١٨٠ و"أبو داود" ٣١٤.

ذكر ابن عبد البر قول عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ : زيادة العلم الابتغاء ودرك العلم السؤال فتعلم ما جهلت واعمل بما علمت ، كما ذكر قول ابن شهاب : العلم خزانة مفاتحها المسألة.

عن قتادة عن عبد الله بن بريدة أن معاوية بن أبي سفيان دعا دعبلا النسابة فسأله عن العربية وسأله عن أنساب الناس وسأله عن النجوم فإذا رجل عالم فقال يا دعبل من أين حفظت هذا قال حفظت هذا بقلب عقول ولسان سؤول. جامع بيان العلم ٨٧/١ وما بعدها .

ولقد حرص علماؤنا الأجلاء على السؤال عن كل ما يشغلهم ولم يمنعهم عن ذلك عذر ولا مرض ولا انشغال ، قال الإمام ابن القيم في (روضة المحبِّين ص ٧٠): وحدَّثني شيخنا -يعني ابنَ تيمية- قال: ابتدأني مرضٌ، فقال لي الطبيب: إن مُطالعتك وكلامك في العلم يزيد المرض، فقلت له: لا أصبر على ذلك، وأنا أحاكمك إلى علمك، أليست النفس إذا فرحت وسُرَّت وقَوِيت الطبيعةُ فدفعت المرضَ؟ فقال: بلى، فقلت له: فإن نفسي تُسرُّ بالعلم فتقوى به الطبيعةُ فأجدُ راحةً، فقال: هذا خارجٌ عن علاجنا. اهـ.

ومما يروى في ذلك ما قاله القاضى إبراهيم بن الجراح الكوفي تلميذ أبى يوسف : قال : لقد أتيته أعوده فوجدته مغمى عليه . فلما أفاق قال لي : يا إبراهيم ما تقول في مسألة ! قلت : في مثل هذه الحالة ؟ ! قال : لا باس بذلك ندرس لعلة ينحو به ناج ! ثم قال : يا إبراهيم : أيهما أفضل في رمى الجمال – أي في مناسك الحج – أن يرميها ماشياً أو راكباً ؟ قلت : راكباً ، قال : أخطأت ، قلت ماشياً قال : أخطأت ، قلت : قل فيها يرضى الله عنك . قال : أما ما كان يوقف عنده للدعاء فالأفضل أن يرميه

راكباً ، ثم قمت من عنده فما بلغنا باب داره حتى سمعت الصراخ عليه ، وإذ هو قد مات رحمة الله عليـــه. عبـد الفتـاح أبـو غـدة : قيمة الـزمن عنـد العلماء ص ٣٩ .

قال الشيخ أبو رزين :

العلم يمنـع أهله أن يمنـعا * * * فاسمح به تنـل المحل الأرفعا

واجعله عنـد المستحق وديعة * * * فهو الذي من حقه أن يودعا

والمستحق هو الذي إن جازه * * * يعمل بـه وإذا تلقفه وعى

وهذه الرسالة تتحدث عن :

أولاً : أهمية سؤال أهل العلم.

ثانياً : آداب سؤال أهل العلم.

اللهم املأ بالإيمان قلوبنا.. وبـــاليقين صـــدورنا.. وبـــالنور وجوهنـــا.. وبالحكمة عقولنا.. وبالحياء أبداننا.. واجعل القرآن شـــعارنا.. والـــسنة طريقنا.

اللهم وعلمنا ما ينفعنا ونفعنا بما علمتنا وزدنا علماً يا رحمن يا رحيم.

راجي عفو ربه

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

hamesabadr@yahoo.com

في : ١٠ ربيع ثاني ١٤٣١ هـ = ٢٦ مارس ٢٠١٠ م

أولاً- أهمية سؤال أهل العلم

١- سبيل إلى تعلم أمور الدين :

سؤال أهل العلم سبيل إلى التفقه في أمور الدين ومعرفة الحلال من الحرام والخطأ من الصواب ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : " بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ ، إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ، قَالَ : صَدَقْتَ ، قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ ، قَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلاَئِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، قَالَ : صَدَقْتَ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ ، قَالَ : أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ ، قَالَ : مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا ، قَالَ : أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ ، الْعَالَةَ ، رِعَاءَ الشَّاءِ ، يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ ، قَالَ : ثُمَّ انْطَلَقَ ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ لِي : يَا عُمَرُ ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ ؟ قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ. **أخرجه أحمد ١/٢٨(١٩١) و(البخاري) في "خلق أفعال العباد" ٣٦ و"مسلم" ١/٢٨(١) .**

ولقد تعلم الصحابة رضوان الله عليهم سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن كل ما يشغلهم في أمور دينهم ، عَنْ حَرَامِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ ؛ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَمَّا يُوجِبُ الْغُسْلَ وَعَنِ الْمَاءِ يَكُونُ بَعْدَ الْمَاءِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فِي بَيْتِى وَعَنِ الصَّلاَةِ فِي الْمَسْجِدِ وَعَنْ مُؤَاكَلَةِ الْحَائِضِ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحِى مِنَ الْحَقِّ أَمَّا أَنَا فَإِذَا فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا فَذَكَرَ الْغُسْلَ قَالَ أَتَوَضَّأُ وُضُوئِى لِلصَّلاَةِ أَغْسِلُ فَرْجِى – ثُمَّ ذَكَرَ الْغُسْلَ. وَأَمَّا الْمَاءُ يَكُونُ بَعْدَ الْمَاءِ فَذَلِكَ الْمَذْىُ وَكُلُّ فَحْلٍ يُمْذِى فَأَغْسِلُ مِنْ ذَلِكَ فَرْجِى وَأَتَوَضَّأُ. وَأَمَّا الصَّلاَةُ فِي الْمَسْجِدِ وَالصَّلاَةُ فِي بَيْتِى فَقَدْ تَرَى مَا أَقْرَبَ بيتي مِنَ الْمَسْجِدِ وَلأَنْ أُصَلِّىَ في بيتي أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ أَنْ أُصَلِّىَ فِي الْمَسْجِدِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ صَلاَةً مَكْتُوبَةً.وَأَمَّا مُوَاكَلَةِ الْحَائِضِ فَوَاكِلْهَا. أخرجه أحمد ٣٤٢/٤ و"الدارمي" ١٠٧٣ و"أبو داود" ٢١١ والتِّرْمِذِيّ" ١٣٣.

وعَنْ عُرْوَةَ بْنِ آلزُّبَيْرِ ، عَنْ عَائِشَةَ ، زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ : أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ ، امَّ بَنِي أَبِي طَلْحَةَ ، دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ الله ، صلى الله عليه وسلم ، .فقالت: يَارَسُولَ الله ، إِنَّ آلله لا يَسْتَحْي مِنَ الحق . أرَأَيْتَ المرأة تَرَى فِي النَّوْمِ مَا يَرَى الرجل ، أَتَغْتَسِلُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فقالت: عَائِشَةُ : فَقُلْتُ لَهَا : أَفٍّ لَكِ أَتَرَى الْمرْأَةُ ذَالِكَ ؟ فَآلْتَفَتَ إِلَيْهَا رَسُولُ الله ، صلى الله عليه وسلم فَقَال : تَرِبَتْ يَمِينُكِ ، فَمِنْ أَيْنَ يَكُونُ آلشَّبَهُ. أخرجه أحمد ٩٢/٦ و"مسلم" ١٧٢/١.

لذا ينبغي التحرز من الإجابة بعد السوؤل قال تعالى : " وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ

الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧) سورة النحل .

٢- وسيلة لرفع الجهل وإعزاز صاحبه :

بعض الناس يستحي أن يسأل في أمور دينه ويرضى بأن يظل على جهله قال مجاهد : لا يتعلم العلم مستحٍ ولا مستكبرٌ.

قال ابن عبد البر في : "جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٠٨" قدم رجل على ابن المبارك ، وعنده أهل الحديث ، فاستحيى أن يسأل ، وجعل أهل الحديث يسألونه ، فنظر ابن المبارك إليه فكتب بطاقة وألقاها إليه فإذا فيها:

إن تلبست عن سؤالك عبد الله * ترجع غدا بخفي حنين**

فأعنت الشيخ بالسؤال تجده * سلسا يلتقيك بالراحتين**

وإن لم تصم صيام الثكالى * قمت عنه وأنت صفر اليدين**

وقال عبد العزيز بن عمر : ماشيء إلا وقد علمت منه ، إلا أشياء كنت أستحي أن أسأل عنها ، فكبرت وفيّ جهالتها.

فقد يظل المرء طوال عمره لا يحسن الوضوء ولا الصلاة ولا العبادة وبرغم ذلك لا يسأل ولا يستفتي ، على حين أنه في أمور دنياه لا يستحي ولا يتحرج من السؤال عن كل ما يشغله ، وهذا من الجهل الذي عم على عقول بعض الناس ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُخْبِرُ ؛أَنَّ رَجُلاً أَصَابَهُ جُرْحٌ فِي رَأْسِهِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ أَصَابَهُ احْتِلاَمٌ فَأُمِرَ بِالاِغْتِسَالِ فَاغْتَسَلَ فَكُزَّ فَمَاتَ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَفَلَمْ يَكُنْ شِفَاءَ الْعِيِّ السُّؤَالُ.

قَالَ عَطَاءٌ وَبَلَغَنَا أَنَّ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَوْ غَسَلَ جَسَدَهُ وَتَرَكَ رَأْسَهُ حَيْثُ أَصَابَهُ الْجِرَاحُ. أخرجه أحمد ١/٣٣٠(٣٠٥٧) و"الدارمي" ٧٥٢ و"أبو داود" ٣٣٧ و "ابن ماجة" ٥٧٢ الألباني صحيح أبي داود (٣٦٤).

قال صاحب " معجم الأدباء " قال لي الوزير أبو محمد بن العربي:أخبرني الشيخ الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم أن سبب تعلمه الفقه أنه شهد جنازة لرجل كبير من إخوان أبيه ، فدخل المسجد قبل صلاة العصر، والخلق فيه، فجلس ولم يركع، فقال له أستاذه – يعني الذي رباه – بإشارة أن قم، فصلّ تحية المسجد ، فلم يفهم . فقال له بعض المجاورين له : أبلغت هذا السن، ولاتعلم أن تحية المسجد واجبة؟ وكان قد بلغ حينئذ ستة وعشرين عامًا، قال: قال: فقمت وركعت، وفهمت إذن إشارة الأستاذ لي بذلك .

قال : فلما انصرفنا من الصلاة على الجنازة إلى المسجد مشاركة للأحباء من أقرباء الميت، دخلت المسجد، فبادرت بالركوع، فقيل لي: اجلس، اجلس، ليس هذا وقتَ صلاة .فانصرفت عن الميت، وقد خزيت، ولحقني ما هانت عليّ به نفسي ، وقلت للأستاذ: "دُلَّني على دار الشيخ الفقيه ، المشاورَ أبي عبد الله بن دَحُّون، فدَلَّني فقصدته من ذلك المشهد. وأعلمته بما جرى فيه . وسألت الابتداء بقراءة العلم ، واسترشدته؛ فدلني على كتاب الموطأ لمالك بن أنس – رضي الله عنه – فبدأت به عليه قراءة من اليوم التالي لذلك اليوم .ثم تتابعت قراءتي عليه، وعلى غيره، نحو ثلاثة أعوام. وبدأت بالمناظرة..". معجم الأدباء: ٣٤١/١٢، ترجمة: علي بن أحمد بن حزم الفارسي .

قال الشاعر:

إذا كنت لا تدري ولم تك بالذي * * * يسأل من يدرى فكيف إذا تدرى

قال محمد بن المثنى السمسار ، قال : « كنا عند بشر بن الحارث ، وعنده العباس بن عبد العظيم العنبري ، وكان من سادات المسلمين ، فقال له : يا أبا نصر أنت رجل قد قرأت القرآن وكتبت الحديث ، فلم لا تتعلم من العربية ما تعرف به اللحن حتى لا تلحن ، قال : ومن يعلمني يا أبا الفضل ؟ قال : أنا يا أبا نصر قال : فافعل قال : قل : (ضرب زيد عمرا) ، قال : فقال له بشر : يا أخي ولم ضربه ؟ قال : يا أبا نصر ما ضربه ، وإنما هذا أصل وضع ، فقال بشر : هذا أوله كذب لا حاجة لي فيه .الخطيب البغدادي : اقْتِضَاءُ الْعِلْمِ الْعَمَلَ ٩٤.

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: " لَا يَزَالُ الرَّجُلُ عَالِمًا مَا تَعَلَّمَ، فَإِذَا تَرَكَ الْعِلْمَ وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ اسْتَغْنَى وَاكْتَفَى بِمَا عِنْدَهُ فَهُوَ أَجْهَلُ مَا يَكُونُ " المجموع للنووي ٥٣/١.

٣- يزداد به صاحبه خبرة وتجربة :

بسؤال أهل العلم يزداد المرء خبرة وتجربة ومعرفة بأمور الدنيا والدين ، قال تعالى : " وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢) سورة التوبة .

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه فقال :" اللهم فقه في الدين و علمه التأويل " .قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٦ / ١٧٣.

ولم يحقق عبد الله بن عباس ــ رضي الله عنهما ــ دعوة رسول الله له بالتفقه في الدين إلا بسؤال أهل العلم حتى أنه كان يقول : إن كنت لأسأل

عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فبلغ في ذلك شأنا بعيدا حتى أن عمر ــ رضي الله عنه ــ كان يجله ويكرمه لعلمه وكان يدنيه ويستشيره في المعضلات.

عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما قبض رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قلت لرجل من الأنصار هلم فلنسأل أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فإنهم اليوم كثير، قال فقال: واعجبا لك يا ابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من فيهم؟ قال: فتركت ذلك وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن الحديث فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه تسفي الريح علي التراب فيخرج فيراني فيقول لي: يا بن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك! فأسأله عن الحديث، فعاش ذلك الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي ليسألوني فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني!. **ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣٦٨/٢.**

وروى الإمام أحمد عن الزهري بسند ضعيف قال : قال المهاجرون لعمر : ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس قال : ذاك فتى الكهول إن له لسانا سؤولا وقلبا عقولا . **ابن حنبل في فضائل الصحابة ج ٢/ ص ٨٤٥ حديث رقم: ١٥٥٥.**

وبذلك ازداد رضي الله عنه خبرة وتجربة جعلته مرجعاً لطلاب العلم ، وجامعة للراغبين في التفقه .

قال أمية بن الصلت:

لا يذهبن بك التفريط منتظرا * * * طول الأناة ولا يطمع بك العجل

فقد يزيد السؤال المرء تجربة * * * ويستريح إلى الأخبار من يسل
وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها * * * ولا البصير كأعمى ما له بصر
فاستخبر الناس عما أنت جاهله * * * إذا عميت فقد يجلو العمى الخبر

وقال أيضاً :

وقد يقتل الجهل السؤال ويشتفي *** إذا عاين الأمر المهم المعاين
وفي البحث قدما والسؤال لذي العمى *** شفاء ، وأشفى منه ما تعاين

٤- توفير الوقت والجهد :

سؤال أهل العلم يوفر على الإنسان الوقت والجهد والمال ، كما أن فيه تحصيل منفعة ودفع مضرة في أمور الدنيا والدين ، خاصة إذا كان المسئول من أهل الخبرة والاختصاص ، قال تعالى : " اسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) سورة النحل .

قال الرازي :" فيه مسائل : المسألة الأولى : في المراد بأهل الذكر وجوه : الأول : قال ابن عباس رضي الله عنهما : يريد أهل التوراة ، والذكر هو التوراة . والدليل عليه قوله تعالى : { وَلَقَدْ كَتَبْنَا في الزبور مِن بَعْدِ الذكر } [الأنبياء:١٠٥] يعني التوراة . الثاني : قال الزجاج : فاسألوا أهل الكتب الذين يعرفون معاني كتب الله تعالى ، فإنهم يعرفون أن الأنبياء كلهم بشر ، والثالث : أهل الذكر أهل العلم بأخبار الماضين ، إذ العالم بالشيء يكون ذاكراً له . والرابع : قال الزجاج : معناه سلوا كل من يذكر بعلم وتحقيق . تفسير الرازي ٣٩٢/٩.

وعن عائشة رضي الله عنها ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله أوحى إلي : أنه من سلك مسلكا في طلب العلم سهلت له طريق الجنة

و من سلبت كريمتيه أثبته عليهما الجنة و فضل في علم خير من فضل في عبادة و ملاك الدين الورع" . صحيح الجامع حديث رقم (١٧٢٧).

وعن مالك ، أنه بلغه أن لقمان الحكيم أوصى ابنه فقال : "يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الله الأرض الميتة بوابل السماء" . الموطأ رقم (١٨٢١).

قيل للأصمعي : بم نلت ما نلت ؟قال : بكثرة سؤالى ، وتلقي الحكمة الشرود.

قال الشاعر :

وسل الفقيه تكن فقيها مثله *** من لم يسع في علم بفقه يمهر

وتدبر الذي تعنى به *** لا خير في علم بغير تدبر

٥- استخراج ما عند العلماء بالسؤال :

فإن هناك من المشايخ من لا يحدث حتى يسأل صونا للعلم عن بذله لمن لا يستحقه .

قال شعبة : " رآني الأعمش وأنا أحدث قوما ، فقال : ويحك أو ويلك يا شعبة ، تعلق اللؤلؤ في أعناق الخنازير." الجامع لأخلاق الراوي (٢٠٥/١).

قال ابن سيرين : لقيت أبا عطية قوله فذهب يحدثني حديث سبيعة أي بمثل ما حدث به عبد الله بن عتبة عنها قوله هل سمعت أراد استخراج ما عنده في ذلك عن ابن مسعود . فتح الباري ٨/ ٦٥٥.

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – : ألا رجل يسأل فينتفع وينفع جلساءه . جامع بيان العلم (١٣٧/١).

ثانياً- آداب سؤال أهل العلم

١- لا تسأل عما لا تحتاجه :

نهي الإسلام عن كثرة السؤال والجدل بلا فائدة ، قال تعالى : " وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) سورة الزخرف ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ:إِنَّ اللهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ ، وَمَنْعًا وَهَاتِ ، وَكَرِهَ لَكُمْ ثَلاَثًا : قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ.أخرجه أحمد ٤/٢٤٦ (١٨٣٢٨) و"الدارمي" ٢٧٥١ و"البُخَارِي" ٢/١٥٣(١٤٧٧) .

فهذا الحديث الشريف شامل لبيان جمل مهمة عن المحرمات ، والمكروهات التي يجب على المرء المسلم أن يتجنبها، ويتحتم عليه أن يباعد نفسه عنها، وأن يحذر من مقارفتها أشد الحذر. أما قوله – صلى الله عليه وسلم– : (وكثرة السؤال).. فقد قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – عند شرحه لهذا الحديث ما نصه: " وَقَدْ ذَهَبَ بَعْض الْعُلَمَاء إِلَى أَنَّ الْمُرَاد بِهِ كَثْرَة السُّؤَال عَنْ أَخْبَار النَّاس وَأَحْدَاث الزَّمَان ، أَوْ كَثْرَة سُؤَال إِنْسَان بِعَيْنِهِ عَنْ تَفَاصِيل حَاله ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَه الْمَسْئُول غَالِبًا . وَقَدْ ثَبَتَ النَّهْي عَنْ الْأُغْلُوطَات أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيث مُعَاوِيَة ، وَثَبَتَ عَنْ جَمْع مِنْ السَّلَف كَرَاهَة تَكَلُّف الْمَسَائِل الَّتِي يَسْتَحِيل وُقُوعهَا عَادَة أَوْ يَنْدُر جِدًّا ، وَإِنَّمَا كَرِهُوا ذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ التَّنَطُّع وَالْقَوْل بِالظَّنِّ ، إِذْ لَا يَخْلُو صَاحِبه مِنْ الْخَطَأ. ابن حجر : فتح الباري ١٧/٩٨.

فالتنطع في السؤال وتكلفه ، والسؤال عن الأغلوطات ، والأمور المشكلات ، وما ليس للمرء حاجة فيه من الأمور – أمر منهي عنه ، ومحذر منه لما فيه من حصول الزلل والغلط ، وقد روي عن الحسن البصري قوله : "شرار عباد الله ينتقون شرار المسائل يُعَمّون بها عباد الله"، كما روي عن مالك قوله : "قال رجل (للشعبي) : إني خبأت لك مسائل. فقال : خبّئها لإبليس حتى تلقاه ، فتسأله عنها".

وقد ورد عن ابن عباس – رضي الله عنهما – ما يدل على أن الصحابة – رضوان الله تعالى عليهم – ما سألوا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلا عن ثلاث عشرة مسألة، كلهن في القرآن ، وأنهم ما كانوا يسألون إلا عما ينفعهم. ومراده بقوله : "ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة"، أي : المسائل التي حكاها الله في القرآن عنهم ، وإلا فالمسائل التي سألوه عنها وبيَّن لهم أحكامها بالسنة لا تكاد تحصى كما بينه ابن القيم – رحمه الله – .

يقول سيد قطب – رحمه الله – عند تفسيره لقوله – تعالى – : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ))[المائدة:١٠١] : "لقد جاء هذا القرآن لا ليقرر عقيدة فحسب ، ولا ليشير إلى شريعة فحسب ، ولكن كذلك ليبري أمة وينشئ مجتمعاً وهو هنا يعلمهم آداب السؤال وحدود البحث ، ومنهج المعرفة. وما دام الله – سبحانه – هو الذي ينزل هذه الشريعة، ويخبر بالغيب ، فمن الأدب أن يترك العبيد لحكمته تفصيل تلك الشريعة، أو إجمالها.. لا ليشددوا على أنفسهم بتنصيص النصوص، والجري وراء الاحتمالات والفروض.. ، ولكن طائفة من الناس لا يدركون هذا المعنى ، فيقع منهم شيء من التنطع

والتكلف . إما للإغراب ، أو التشكيك أو إرادة الامتحان أو الاستهـــزاء، ومع ذلك كانوا يقابلون من العلماء بحسن الرد، فيُلجمونهم أشد الإلجام ، ويُسكتونهم أيما إسكات ، بردود تظهر فيها الحكمة، وحسن التخلص مع التربية والتأديب .تفسير الظلال ٣/٤٤٣.

ومن ذلك : ما رواه (اللالكائي) بسنده عن (جعفر بن عبـد الله) قـال : "جاء رجل إلى مالك بن أنس فقال : يا أبا عبـد الله : ((الـرَّحْمَنُ عَلَـى العَرْشِ اسْتَوَى))[طه:٥] ، فكيف استوى؟ قال : فـمـا رأيت مالكاً وجـد من شيء كموجدته من مقالته ، وعلاه الرحضاء – يعني العرق – قـال: وأطرق القوم ، وجعلوا ينتظرون ما يأتي منه فيه. قـال : فـسُرِّي عـن (مالك) فقال : "الكـيـف غير معقول ، والاستواء منه غيـر مجهـول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة، وإني أخاف أن تكون ضـالاً" . فأمر به فأُخرج" . تفسير القرطبي١/ ٣٥٤.

وروى (القاضي عياض) في : (ترتيب المدارك١/٢٠٢): قال حبيب : كنـا جلوساً عند (زياد) ، فأتاه كتاب من بعض الملوك ، فمد مدة، فكتب فيه ، ثم طبع الكتاب ، ونفذ به مع الرسول. فقال زياد: ألا تدرون عمـا سـأل صاحب هذا الكتاب؟ سأل عن كفتي ميزان الأعمال يوم القيامة: أمن ذهب ، أم من وَرِق؟ فكتبت إليه: حدثنا مالك عن ابن شهاب، قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعينه)، وسترد فتعْلَم .

ولقد وردت عبارات كثيرة عن الأئمة تدل على كراهية الـسؤال عمـا لا ينفع السائل ، فمن ذلك ما روي عن الإمام أحمد – رحمه الله – قـال :

"سألني رجل مرة عن "يأجوج ومأجوج ": أمسلمون؟ فقلت له : أحكمتَ العلم حتى تسأل عن ذا؟" .

هذا من جانب ومن جانب آخر نجد بعض الناس لا يبالون بما يفعلون ، ولا يسألون عما يجهلون من أحكام دينهم وأمور دنياهم ، فنراهم يتخبطون في مستنقعات الردى، وينزلقون في مزالق الذنب والمعصية، بسبب البعد عن شريعة الله – سبحانه وتعالى – وإغفال السؤال عن حكم الله ، وحكم رسوله –صلى الله عليه وسلم– في الأعمال قبل القيام بها، مما يؤدي إلى كثرة وقوع الحوادث المخالفة، التي لا أصل لها في الكتاب والسنة.

يقول ابن رجب – رحمه الله – : "واعلم أن كثرة وقوع الحوادث التي لا أصل لها في الكتاب والسنة، إنما هن من ترك الاشتغال بامتثال أوامر الله ورسوله ، واجتناب نواهي الله ورسوله ، فلو أن من أراد أن يعمل عملاً سأل عما شرعه الله – تعالى – في ذلك العمل فامتثله ، وعما نهى عنه فيه فاجتنبه : وقعت الحوادث مقيدة بالكتاب والسنة.

قال أحمد بن حيان القطيع: دخلت على أبي عبد الله ، فقلت: أتوضأ بماء النورة ؟ فقال: ما أحب ذلك .فقلت: أتوضأ بماء الباقلاء ؟قال : ما أحب ذلك .قال: ثم قمت ، فتعلق بثوبي ، وقال: أيش تقول إذا دخلت المسجد ؟فسكت .فقال: أيش تقول: إذا خرجت من المسجد ؟فسكت.فقال: اذهب فتعلم هذا .اهـ. قلت:يعني الإمام ــ رحمه الله ــ أنك تركت ما فيه سنة ثابتة ، وتحتاجه كل يوم مرارا ، وجئت تسأل عما قد لا تحتاجه أبدا ، وليس فيه أثر !. طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٤١/١ ، وابن مفلح : الآداب الشرعية ١٢٣/٢.

يحكى أن الأمير ابن طولون أراد أن يؤدّب ولده، وكان الولد أكولاً نهماً ؛ فأرسل الوزيرَ في ساعة من الليل، وقال له: ائتني به فوراً ، ولا تسمح له بأكل شيء قبل أن تشخصه إليّ، ذهب الوزير، وقال للولد: أجب الأمير، قال أمهلني قليلاً لآكل، قال: أجب الأمير فوراً على هيئتك الآن، وذهب الولد، فجلس في قاعة انتظار حتى طال به الجلوس واشتد به الجوع، قال والده: أدخلوه الغرفة ؛ فدخل ووجد على الخوان ألواناً من الأطعمة اليسيرة التي نسميها (مقبّلات) الجرجير والبقول والسلطات وما شابه، فوقع عليها أكلاً حتى شبع وهدأت نفسه، ثم أمر الأمير أن يؤذن للولد على مائدة من أجود أنواع الأطعمة مما لذ وطاب من الوجبات الرئيسة، وعليها الأمير ووزراؤه وحاشيته، فأكلوا وانقبض الولد.. سأله أبوه: لماذا لا تأكل؟ قال: قد شبعت، ولم أعلم أن ثمة طعاماً آخر هو ألذ وأطيب .قال الأمير: إنما أحضرتك لألقنك درساً في حياتك، ليس لك إلا بطن واحد، فإذا ملأته بالبقول والأطعمة الأولية؛ لم تجد نفسك في الطعام الذي هو أكثر نفعاً وأعظم لذة، وهكذا إذا ملأت وقتك بالأمور الصغيرة ضاق عن جلائل الأعمال وفضائلها.

٢- لا تجعل السؤال يكشف عن جهلك :

قال أبو نعيم في الحلية ١١٧/٩:حدثنا محمد بن إبراهيم ثنا محمد بن أحمد بن موسى الخياط ــ بالرملة ــ وعلي ، عن الربيع: قال سمعت الشافعي يقول: ما نظر الناس إلى شيء هم دونه إلا بسطوا ألسنتهم فيه.قلت: صدق ــ رحمه الله ــ وهذا اليوم في الناس كثير.

رفع رجلٌ من العامة ببغداد إلى بعض ولاتها على جار له أنّه يتزندق ،فسأله الوالي عن قوله الذي نسبه به إلى الزندقة ،فقال :هو مرجى قدريّ ناصبيّ رافضى ،من الخوارج ،يبغض معاوية بن الخطّاب الذي قتل عليّ بن العاص.فقال له ذلك الوالي :ما أدرى على أي شيء أحسدك ؟أعلى علمك بالمقالات ،أم على بصرك بالأنساب.

كان الوجيه وهو : المبارك بن المبارك الضرير النحوي قد التزم سماحة الأخلاق ، وسعة الصدر ، فكان لا يغضب من شيء ، ولم يره أحد قط حردان ، وشاع ذلك عنه ، وبلغ ذلك بعض الحرفاء ، فقال: ليس له من يغضبه ، ولو أغضب لما غضب ، وخاطروه على أن يغضبه ، فجاءه ، فسلم عليه ، ثم سأله عن مسألة نحوية ، فأجابه الشيخ بأحسن جواب ، ودله على محجة الصواب .فقال له: أخطأت ، فأعاد الشيخ الجواب بألطف من ذلك الخطاب ، وسهل طريقته ، وبين له حقيقته .فقال له: أخطأت أيها الشيخ ، والعجب ممن يزعم أنك تعرف النحو ، ويهتدي بك في العلوم ، وهذا مبلغ معرفتك ، فلاطفه ، وقال: له يا بني لعلك لم تفهم الجواب ، وإن أحببت أن أعيد القول عليك بأبين من الأول فعلت .قال له:كذبت ! لقد فهمت ما قلت ، ولكن لجهلك تحسب أنني لم أفهم .فقال له الشيخ: وهو يضحك قد عرفت مرادك ، ووقفت على مقصودك ، وما أراك إلا وقد غُلبت ، فأد ما بايعت عليه ، فلست بالذي تغضبني أبدا ،وبعد يا بني : فقد قيل إن بقة جلست على ظهر فيل ، فلما أرادت أن تطير قالت له: استمسك فإني أريد الطيران ! فقال لها الفيل: والله يا هذه ما أحسست

بك لما جلست ، فكيف أستمسك إذا أنت طرت !والله يا ولدي ما تحسن أن تسأل ، ولا تفهم الجواب ، فكيف أستاء منك .معجم الأدباء ٥/٤٤ .

دخل رجل المسجد عليه سمت الوقار والهيبة يوحي مظهره انه من كبار العلماء وكان أبو حنيفة جالسا يمد رجليه ، فضم رجليه احتراما للرجل .فسأله الرجل : يا أبا حنيفة متى يفطر الصائم ؟!!قال : عند غروب الشمس .قال : وان لم تغرب إلى منتصف الليل ؟!!فابتسم أبو حنيفة وقال : آن لأبي حنيفة أن يمد رجليه !!!.

دخل رجل على الشعبي وهو في المسجد ومعه امرأته فقال : أيكم الشعبي ؟!!!فقال الشعبي : هذه . وأشار إلى امرأته !!.

٣- إرشاد السائل لما هو أولى :

عن أبي ثور قال: كنت من أصحاب محمد بن الحسن ، فلما قدم الشافعي علينا جئت إلى مجلسه شبه المستهزئ ، فسألته عن مسألة من الدور ، فلم يجبني ، وقال: كيف ترفع يديك في الصلاة ؟ فقلت: هكذا .فقال: أخطأت .فقلت: هكذا .فقال: أخطأت .فقلت: وكيف أصنع ؟قال: حدثني سفيان [عن الزهري] عن سالم عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم " كان يرفع يديه حذو منكبيه إذا ركع وإذا رفع ".قال أبو ثور : فوقع في قلبي من ذلك ، فجعلت أزيد في المجيء إلى الشافعي ، وأقصر من الاختلاف إلى محمد بن الحسن ، فقال: أجل الحق معه ؟قال: وكيف ذلك ؟قال قلت: كيف ترفع يديك في الصلاة ، فأجابني نحو ما أخبرت الشافعي ، فقلت: أخطأت .فقال: كيف أصنع ؟فقلت: حدثني الشافعي عن سفيان عن الزهري عن سالم عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع

يديه حذو منكبيه ، إذا ركع ، وإذا رفع ". قال أبو ثور : فلما كان بعد شهر ، وعلم الشافعي أني قد لزمته للتعلم منه ،قال: يا أبا ثور مسألتك في الدور ، وإنما منعني أن أجيبك يومئذ ، لأنك كنت متعنتا.اهـ .قلت: من فوائده الإعراض عن إجابة المتعنت ، وتبيين جهله لنفسه ، وإرشاده لما هو أولى .في الآداب الشرعية ٢/٧٢.

قال المروذي قال أبو عبد الله: سألني رجل مرة عن يأجوج ومأجوج أمسلمون هم؟فقلت له: أحكمت العلم حتى تسأل عن ذا ؟!.

قال أبو نعيم في الحلية ٩/١٢٤:حدثنا أبو محمد بن حيان ثنا عبدالله بن محمد بن يعقوب ثنا أبو حاتم ثنا حرملة قال: سمعت الشافعي يقول: كل ما قلت لكم ، فلم تشهد عليه عقولكم ، وتقبله ، وتراه حقا فلا تقبلوه فإن العقول مضطرة إلى قبول الحق.

في معرفة الثقات للعجلي ص٢٠١:الإمام عبد الرحمن بن مهدي قال له رجل: يا أبا سعيد لو قيل لك: أدخل الجنة بلا حساب ، ولا يكون لك رياسة ؟ أو قيل لك: يكون لك رياسة الدنيا وأمرك إلى الله أيهما أحب إليك ؟ فقال له: بالله اسكت .ما أجمل الجواب ! ، وما أكثر الأسئلة التي تحتاج لمثله.

٤- لا تسأل العالم عن عمله :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والفقيه قد يفعل شيئا على العادة ، و إذا قيل له: هذا من الدين ؟ لم يمكنه أن يقول ذلك ، ولهذا قال بعض السلف: لا تنظر إلى عمل الفقيه ، ولكن سله يصدقك .الاستغاثة في الرد على البكري ص٣٣٥.

وقال العلامة الشاطبي: وأن الإنسان لا ينبغي له أن يعتمد على عمل أحد البتة حتى يتثبت فيه ، ويسأل عن حكمه إذ لعل المُعْتَمَد على عمله يعمل على خلاف السنة ، ولذلك قيل :لا تنظر إلى عمل العالم ، ولكن سله يصدقك .وقال أيضا: العالم قد يعمل ، وينص على قبح عمله ! ، ولذلك قالوا : لا تنظر إلى عمل العالم ولكن سله يصدقك. الاعتصام ٣/١٠٩و٤/١٨١.

وقال الخليل بن أحمد :

اعمل بعلمي ولا تنظر إلى عملي ** ينفعك علمي ولا يضررك تقصيري

٥- أكثر من سؤال العلماء الربانين :

وقال ابن حزم في مراتب العلوم ص٧٧ [ضمن مجموع رسائله ج٤]: [في وصايا لطالب العلم].. وسكنى حاضرة فيها العلم ، ولقاء المتنازعين ، وحضور المتناظرين فبهذا تلوح الحقائق ، فليس من تكلم عن نفسه وما يعتقده ، كمن تكلم عن غيره ، ليست الثكلى كالنائحة المستأجرة ، ومن لم يسمع إلا من عالم واحد أوشك أن لا يحصل على طائل ، وكان كمن يشرب من بئر واحدة ، ولعله اختار الملح المكدر ، وقد ترك العذب ، ومع اعتراك الأقران ومعارضتهم يلوح الباطل من الحق ، ولا بد ، فمن طلبه كما ذكرنا أوشك أن ينجح مطلبه ، وأن لا ينفق سعيه ، وأن يحصل في المدة اليسيرة على الفائدة العظيمة ، ومن تعدى هذه الطريقة كثر تعبه ، وقلت منفعته .

فالعلماء الربانيون وجوده كنز ويجب على طلاب العلم أن لا يدعو فرصة إلا وانتهبوها في سؤال هؤلاء العلماء ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ ، أَنَّهُمَا أَخْبَرَاهُ ؛أَنَّ

رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللهِ ، وَقَالَ الآخَرُ ، وَهُوَ أَفْقَهُهُمَا : أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ ، فَاقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللهِ ، وَأْذَنْ لِي أَنْ أَتَكَلَّمَ ، قَالَ : تَكَلَّمْ ، قَالَ : إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا – قَالَ مَالِكٌ : وَالْعَسِيفُ : الأَجِيرُ – فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ ، فَأَخْبَرُونِي أَنَّ عَلَى ابْنِي الرَّجْمَ ، فَافْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِئَةِ شَاةٍ ، وَبِجَارِيَةٍ لِي ، ثُمَّ إِنِّي سَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ ، فَأَخْبَرُونِي أَنَّ مَا عَلَى ابْنِي جَلْدُ مِئَةٍ ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ ، وَإِنَّمَا الرَّجْمُ عَلَى امْرَأَتِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللهِ ، أَمَّا غَنَمُكَ وَجَارِيَتُكَ ، فَرَدٌّ عَلَيْكَ ، وَجَلَدَ ابْنَهُ مِئَةً ، وَغَرَّبَهُ عَامًا ، وَأَمَرَ أُنَيْسًا الأَسْلَمِي أَنْ يَأْتِيَ امْرَأَةَ الآخَرِ ، فَإِنِ اعْتَرَفَتْ ، فَارْجُمْهَا ، فَاعْتَرَفَتْ ، فَرَجَمَهَا. **أخرجه مالك "الموطأ" ٢٣٧٩. و"أحمد" ١١٥/٤(١٧١٦٤) و"البُخَارِي" ١٣٤/٣(٢٣١٤ و٢٣١٥).**

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: " خَرَجْنَا عُمَّارًا، فَلَمَّا بَلَغْنَا ذَاتَ الشُّقُوقِ لُدِغَ رَجُلٌ مِنَّا، وَمَعَنَا عَلْقَمَةُ، وَالْأَسْوَدُ، وَأَصْحَابُ عَبْدِ اللهِ، فَلَمْ يَدْرُوا مَا يَقُولُونَ قَالَ: فَخَرَجْنَا إِلَى الطَّرِيقِ نَتَعَرَّضُ بِلِقَاءِ أَحَدٍ نَسْأَلُهُ قَالَ: فَإِذَا رَكْبٌ فِيهِمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، فَأَتَيْنَاهُ، فَسَأَلْنَاهُ، فَقَالَ: يَبْعَثُ بِهَدْيٍ، وَاجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ يَوْمَ أَمَارٍ، فَإِذَا نَحَرَ الْهَدْيَ فَلْيَحِلَّ، وَعَلَيْهِ الْعُمْرَةُ مِنْ قَابِلٍ ". **الطحاوي : أحكام القرآن ٣٤٧/٣.**

وعن مغيرة قال: لما مات إبراهيم رأينا أن الذي يخلفه الأعمش، فأتيناه فسألناه عن الحلال والحرام فإذا لا شيء فسألناه عن الفرائض فإذا هي عنده قال: فأتينا حمادا فسألناه عن الفرائض فإذا لا شيء، فسألناه عن الحلال والحرام فإذا هو صاحبه. **ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣٣٢/٦.**

قال الشافعي :

أخي لن تنالَ العلمَ إلا بستةٍ * * * سأنبيكَ عن تفصيلِها ببيانِ

ذكاءٌ وحرصٌ واجتهادٌ وبلغةٌ * * * وصحبةُ أستاذٍ وطولُ زمانِ

يقول أبو جندل العباس :كان هناك معلم قد رأى تلميذه شارد الذهن فنبهه بقوله:

أَسْرِجْ شُمُوْخَكَ يَا بَطَلْ * * * وَدَعِ المَهَازِلَ وَالْغَزَلْ

وَانْسَ الْهُمُوْمَ فَإِنَّهَا * * * دَاءُ الأَحَاجِيْ وَالْمُقَلْ

ثُمَّ اهْجُرِ الْعِشْقَ الَّذِيْ * * * سَلَبَ الْفُؤَادَ عَلَى عَجَلْ

وَدِّعْ سُعَادَ فَمَالها * * * خَطَفَتْ لُبَابَكَ فَارْتَحَلْ

وَاسْمَعْ لِشَرْحِ الدَّرْسِ * * * لا تَرْحَلْ بَعِيْداً بِالأَمَلْ

فرد عليه التلميذ قائلاً:

عُذْراً مُعَلِّمَنَا فَإِنِّيْ لا * * * عَشِقْتُ وَلا خَجِلْ

إِنَّ الهُمُوْمَ لَهَا اضْطِرَامٌ * * * في الْحَشَا وَبِهَا اشْتَعَلْ

إَنِّيْ سَمِعْتُ الشَّرْحَ * * * لكِنْ أُمَّتِي سُلِبَتْ: أَجَلّ

سُلِبَتْ كَرَامَتُهَا وَقَوْ مِي * * * صَفَّقُوا لِلْكُفْرِ، بَلْ

نَامُوا عَلَى عَتَبَاتِهِ * * * يَشْكُونَ وَيْلاتِ الدُّوَلْ

أَمُعَلِّمِي أَيْنَ الرِّجَالُ * * * وَأَيْنَ فَارِسُهُ مْ وَهَلْ

مِنْ قَائِدٍ يُدْمِي سُيُوفَ * * * البَغْيِ شَاطَرَهَا الْخَطَلْ

اللهم انقلنا من ظلمات الجهل إلى أنوار العلم ، اللهم فقهنا في ديننا واجعلنا هداة مهدين هادين ، ولا تخزنا يا مولانا يوم الدين .

الفهرست

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢
أولاً- أهمية سؤال أهل العلم	٨
١- سبيل إلى تعلم أمور الدين	٨
٢-وسيلة لرفع الجهل وإعزاز صاحبه	١٠
٣-يزداد به صاحبه خبرة وتجربة	١٢
٤- توفير الوقت والجهد	١٤
٥- استخراج ما عند العلماء بالسؤال	١٥
ثانياً- آداب سؤال أهل العلم	١٦
١- لا تسأل عما لا تحتاجه	١٦
٢- لا تجعل السؤال يكشف عن جهلك	٢٠
٣- إرشاد السائل لما هو أولى	٢٢
٤- لا تسأل العالم عن عمله	٢٣
٥- أكثر من سؤال العلماء الربانين	٢٤
الفهرس	٢٧